

موقع اللغة العربية من خريطة العالم

الإنسان في جوهره هو ذلك المخلوق المتميز، المتفوق على غيره من المخلوقات؛ فهو يفكر وينطق ويكتب بمجموعة من الرموز والإشارات تكون (لغة) هي أرقى ما توصل إليه عقل الإنسان من اختراع وابتداع، تسميه بالإنسانية وتؤدي حاجاته. واللغة هي الوسيلة الرئيسية التي يتواصل بها البشر، كما أنها الوسيلة الرئيسية التي يفشل البشر في التواصل عن طريقها، وقد قال جولد سميث في إحدى رواياته: "لسنا نستعمل الكلام للإفصاح عن حاجتنا بقدر ما نستعمله لمداراتها".

ويختلف تقدير اللغات المنطوقة بين ثلاثة آلاف لغة وعشرة آلاف، وهذا الاختلاف في الأرقام ناتج عن التفاوت فيما يمكن أن يندرج تحت اللغة أو اللهجة، إلى جانب الاختلاف حول حياة اللغات أو موتها، فضلا عن الاكتشافات اللغوية الحديثة. أما العدد الذي تذكره معظم المراجع فيتراوح بين أربعة آلاف لغة وخمسة آلاف.

تحتل اللغة العربية المركز الخامس بين اللغات العشرين التي تمثل القمة بالنسبة لعدد المتحدثين بها بوصفها اللغة الأم (اللغة الأولى)⁽¹⁾. ويسبقها كل من اللغات:

١. الصينية: وتحتل المركز الأول، ويتحدث بها حوالي مليار من البشر.
٢. الإنجليزية: ويتحدث بها حوالي ثلاثمائة وخمسين مليوناً.
٣. الأسبانية: ويتحدث بها حوالي مائتين وخمسين مليوناً.
٤. الهندية (لغة شمالي الهند الأدبية والرسمية): ويتحدث بها حوالي مائتي مليون.
٥. ثم تأتي في المركز الخامس العربية: ويتحدث بها حوالي مائة وخمسين مليوناً.

⁽¹⁾ Crystal, D. The Cambridge Encyclopedia of Language P. 287.

ويتساوى معها في عدد المتحدثين كل من اللغتين البنغالية والروسية، ثم تأتي البرتغالية (١٣٥)، واليابانية (١٢٠)، والألمانية (١٠٠)، والفرنسية (٧٠).

ويتأخر ترتيب اللغة العربية إلى المركز السابع، عند تقدير عدد المتحدثين بها بوصفها لغة رسمية^(٢). وتسبقها اللغات التالية:

١. الإنجليزية : يستخدمها مليار وأربعمائة مليون من البشر.

٢. الصينية : يستخدمها مليار من البشر.

٣. الهندية : يستخدمها سبعمائة مليون متحدث.

٤. الأسبانية: يستخدمها حوالي ثمانين ومائتي مليون متحدث.

٥. الروسية: يستخدمها حوالي سبعين ومائتي مليون متحدث.

٦. الفرنسية: يستخدمها ما يقرب من عشرين ومائتي مليون متحدث.

٧. ثم تأتي العربية : يستخدمها مائة وسبعون مليوناً.

ويليها البرتغالية والمالوية: (١٦٠)، ثم البنغالية (١٥٠)، واليابانية (١٢٠)، والألمانية (١٠٠)، والأردية (٨٥)، والإيطالية (٦٠).

واللغة العربية هي الأكبر بين اللغات الأفروآسيوية، وهي المجموعة التي تعرف أيضاً باسم (اللغات الحامية السامية)، وهي أكبر أسرة لغوية في شمال أفريقيا والطرف الشرقي منها، فضلاً عن جنوب غرب آسيا. وتشمل هذه الأسرة مائتي لغة، يتحدث بها ما يزيد عن مائتين وثلاثين مليوناً. وتضم ستة أقسام كبيرة، يظن أنها اشتقت من لغة أم واحدة، وجدت في حدود الألف السابعة قبل الميلاد.

ولا يقتصر انتشار العربية - بوصفها واسطة اتصال عالمي ووعاء فكر إنساني أصيل - على مناطق الوطن العربي فحسب، بل يرتبط كذلك ارتباطاً وثيقاً بمناطق انتشار الإسلام في العالم. ويتحدث العربية عشرون دولة عربية وغير عربية، منها على سبيل المثال موريتانيا التي تستخدم العربية لغة أولى

(2) Crystal, D. The Cambridge Encyclopedia of Language P. 287.

لها، أما جيبوتي وإسرائيل والصومال فتستخدم فيها العربية لغة ثانية. واللغة المالطية - التي يتحدث بها سكان جزيرة مالطة، الذين يربو عددهم على ثلاثمائة ألف- هي تطور عن اللغة العربية.

وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة اللغة العربية لغة عمل ولغة رسمية للجمعية العامة في عام ١٩٧٣ بموجب قرار الجمعية العامة رقم ٣١٩٠ (د-٢٨) المؤرخ في ١٨ ديسمبر عام ١٩٧٣، ثم تساوت مع باقي لغاتها في سنة ١٩٧٩، بموجب قرار الجمعية العامة رقم ٣٤ / ٢٢٦ المؤرخ في ٢٠ ديسمبر ١٩٧٩.

وبمقتضى قرار الجمعية العامة رقم ٣٥ / ٢١٩ المؤرخ في ١٩ ديسمبر ١٩٨٠ أصبحت من بين لغات العمل واللغات الرسمية للهيئات الفرعية للجمعية العامة. ثم اعتمدها مجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي لغة عمل ولغة رسمية. وأدخلت اللغة العربية في منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (اليونيدو) في عام ١٩٨٢. كما اتخذت مكانتها بوصفها لغة قومية في منظمة الوحدة الافريقية.

وفي عام ١٩٨٥ - وبهدف إحصاء ما أسمته جريدة (واشنطن بوست) الأمية اللغوية في الدولة - نشرت شعبة (إدارة) الثقافة بالولايات المتحدة قائمة تضم مائة وتسع وستين لغة، من ضمنها اللغة العربية، عدتها الحكومة الأمريكية ذات أهمية خاصة، بمعنى أن معرفتها تدعم البحث العلمي الجاد، أو تعزز الاهتمامات الأمنية ذات الطبيعة القومية أو الاقتصادية^(٣).

واللغة هي مناط الهوية، وقوام الذاتية؛ ومن هنا فإن الوهن أول ما يعترى أمة يصيبها في لغتها، كما أن أول قوة تتحقق لها تدركها فيها. ويتضمن انتشار لغة ما سر بقاء أصحابها، وها نحن إزاء عالم يتصارع على البقاء، وقد تعددت فيه الأساليب للوصول إلى الأهداف المنشودة بأقل الخسائر الممكنة. لذا اتجهت

(3) Ibid, P. 342.

الدول الكبرى- في فرض إرادتها على الدول الصغرى- إلى الغزو الفكري والثقافي؛ فدأبت على نشر حضارتها وتقنياتها، بوساطة لغاتها، في مدارس الدول الصغرى وجامعاتها ومؤسساتها، وعبر مئات المراكز الثقافية التي تأسسها لهذه الغاية، فضلا عن وسائل إعلامها المسموع والمرئي، بما يتميز به من دقة وإيهار.

من أمثلة ذلك أننا نرى بعض الجهات المسئولة عن اللغة الأسبانية، مثل معهد ثربانتيس، ينشر إعلانات في الصحف اليومية تبين أهمية هذه اللغة، وعدد الدول التي تستخدمها، والفوائد التي يجنيها دارسها. كما ينظم الدورات التعليمية لدارسيها.

ونجد أيضا دولة مثل اليابان قد أنشأت- على نفقتها الخاصة - قسما لتدريس اللغة اليابانية، ألحق بكلية الآداب، جامعة القاهرة. زودته بالمعامل اللغوية والوسائل التعليمية، مما أتاح الفرصة أمام الطلبة المصريين لتعلم اللغة اليابانية. ولم تكتف بهذا، بل فتحت المجال أمام الباحثين لاستكمال دراساتهم العليا، عن طريق إيفادهم في بعثات أو منح دراسية لدراسة اللغة اليابانية في جامعات اليابان ليكونوا سفراء دائمين لها.

وقد كان للعرب في العقود الأخيرة من القرن العشرين أهمية اقتصادية وسياسية كبيرة؛ لذا كانت اللغة العربية ذات أهمية خاصة للمتحدثين بها من غير أبنائها. فلحظنا بعض دول آسيا - مثل كوريا وتايوان - ترصد جوائز للمتفوقين من أبنائها في دراسة هذه اللغة، تشجيعا لهم على اجتياز امتحان خاص فيها، يضع أسئلته - بمستوياتها المختلفة - أساتذة من الخبراء المصريين، ثم تشجعهم على استكمال دراستهم للغة العربية في مصر من خلال منح دراسية تخصصها لهم.

كما وجدنا دولة مثل الهند تشجع دراسة اللغة العربية في جامعاتها ومعاهدها، عن طريق الحوافز والمنح التي توفرها لدارسي هذه اللغة؛ لما لها من أهمية سياسية

وتجارية، ولفتح أسواق العمل في الدول العربية لأبنائها. كما تصدر معاهدها وهيئاتها الحكومية عددا من المجلات والصحف المطبوعة باللغة العربية؛ لترويج اللغة العربية، وتشجيع الكتاب على الكتابة بها.

كما تبذل مصر جهودها في نشر اللغة العربية: فتوفد الأساتذة المتخصصين إلى دول جنوب شرق آسيا؛ للتخطيط والإشراف على تعليم العربية، وإنشاء المراكز التعليمية المتخصصة هناك. وقد خصصت بعض المنح الدراسية لأبناء كوريا لدراسة اللغة العربية، في إطار دعم التعاون الثنائي بين البلدين في المجالات الثقافية. كما وافقت على منح مكتبة خاصة بمجموعات كتب لتعليم اللغة العربية ودراساتها لإحدى جامعات كوريا الجنوبية، مع تخصيص مسابقة لمنح جائزة لأفضل الطلاب الكوريين من دارسي اللغة العربية لاستكمال دراستهم في مصر.

وتسهم مصر في هذا الجانب أيضا بإيفاد عدد من شباب الباحثين، على نفقتها، للإشراف على تعليم اللغة العربية بالجمهوريات الروسية.

ولما كانت تقوية اللغة العربية وتنميتها لمواكبة متطلبات العصر ضرورة قومية ودولية، فإنه يتعين على مصر والدول العربية الاضطلاع بمسؤولية كبيرة تتمثل في الحفاظ على اللغة العربية ونشرها في الآفاق، وتشجيع الدارسين على تعلمها، ومد مظلتها لتشمل عددا أكبر من الدول؛ فضلا عن الإشراف الجاد المتكامل على القائمين بالتخطيط أو الموفدين للمتابعة أو التدريس، بحيث يشمل توفير كل الظروف المعيشية وتيسيرها، وتهيئة المناخ الملائم للموفد لكي يعطى عمله كل اهتمام، ويكرس طاقته لإنجاح مهمته.

كما يقع على مصر ودول الجامعة العربية عبء تيسير تعلم غير العرب للغة العربية، وتطوير طرائق تعليمها لكي تتماشى مع مقتضيات العصر. فعلى أن نبدأ بداية جادة بالترغيب في لغتنا، وإيصالها إلى مختلف أنحاء العالم عبر مختلف الأساليب والأهداف، من خلال محاور ثلاثة، تتمثل في:

- المحور العقائدي: وذلك بوصل العالم الإسلامي باللغة العربية؛ لتمكينه من أداء رسالته الروحية الإسلامية على أفضل وجه.
- المحور الحضاري: وذلك بإرساء دعائم اللغة العربية عالمياً، وتحديثها؛ حتى تتمكن من استيعاب المفاهيم العلمية والحضارية الحديثة.
- محور الالتزام القومي: ويتم ذلك بنشر اللغة العربية في دول المهجر، ووصل المهاجرين بقوميتهم وثقافتهم، قبل أن تمحوها الثقافات الأجنبية أو تصهرهم فيها.

وليس ثمة شك في أن القنوات الفضائية المصرية والعربية قامت بدور واضح في هذا الجانب، ولكن برامجهما يغلب عليها الجانب الترفيهي، كما يشيع استعمال اللهجات فيها. وهو أمر يجب أن نتجنبه كي لا نرسخ عوامل التفكك والانفصال بين شعوب العالم العربي، والأنسب استخدام اللغة الفصيحة البسيطة.

ويلزم على دول الجامعة العربية فتح المدارس للجاليات العربية في البلدان الأوربية والأفريقية، وتأسيس المراكز الثقافية وأقسام الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات العالمية؛ لتحمل مسئولية نشر اللغة العربية وبعثها بعثاً طموحاً في الآفاق، يصلها بالماضي التليد، ويمنحها المستقبل المشرق.